القصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف
- قراءة بلاغية-

(*)
أ.م.د. أسماء سعود الخطاب
(*)(*)
م.م. علي ذنون يونس

ملخص البحث

القصة النبوية لون من ألوان بيانه الشريف (ﷺ) تمثل لبنة من لبنات الحكمة، وهي قبس من مشكاة البلاغة النبوية، بذّت كل بيان بشري في موضوعها، وأسلوب أدائها، وفي مقاصدها وغاياتها. فهي في موضوعها نسيج من الصدق الخالص، لا تشوبها شائبة وهم أو خيال، إذ هي صفحة من صفحات الواقع يعرضها (ﷺ) بلا تزويق ولا تمويه، وهي في أسلوب أدائها نفحة من نفحات البيان العطر، المتفرد في بلاغة تراكبيه، وفصاحة مفرداته، وهي في مقاصدها وغاياتها نموذج من نماذج الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير. ونحن حين نتحدث عن القصة في البيان النبوي فإننا نتحدث عن وسيلة من وسائل الدعوة اعتمد عليها (ﷺ) في التعليم والتوجيه والإرشاد.

والقصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف جاءت نمطا أسلوبيا لخدمة وتوضيح المشبه وتقريبه من الأذهان، فكانت الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه أقوى في المشبه به من المشبه، فضلا عن قيامها على التشخيص العياني المعتمد على التقديم الحسي للصور الذهنية، والذي من شأنه إثارة نوع من التوكيد في نفس المتلقي، فضلا عن تزويده بالقدرة الحقيقة لإثارة انفعالاته.

(*)أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.
(*)(*) مدرس مساعد في قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

The story drama in the Hadith , rhetorical reading

Dr. Asma'a Soud Al-Khattab
Assist. Prof.
University of Mosul / College of Arts
Mosul / Iraq

Ali Thanoon Younis
Assist. Prof.
Mosul/ Iraq

Abstract

Prophetic story is considered one of the Prophet's (peace and blessings be upon him) kinds, it represents one of the wisdom's adobes, it is derived from the Prophetic eloquence niche, that overcame every human statement with its subject, and its performance style and its intends and purposes. It is true is its structure, it is real in showing the events showed by the Prophet (peace and blessings be upon him) without decoration, but it is a type of the real manifestation, unique in its structure, eloquent in its items, and it is considered a type of invitation and calling for good deeds. When we talk about the story in the Prophetic statement, we talk about a means of invitation applied by the Prophet (peace and blessings be upon him) in education and guidance.

Scenic story in Hadith was used as a stylistic way to serve, explain and approximating the similar to minds, so the comprehensive feature between the two similar sides was stronger in the similar than the identical one, besides diagnosing the sensible presentation of the mental image, which excites a type of certainty for the receiver, also giving him the real ability to excite his emotions.

Mentioning Hadith as a story with linguistic and eloquent context spreads life in the comparative image and gives it vitality and increases its inspirations, where we did not obtain a complex comparative images but we obtained a beau and simple structure. Also this style is considered a type of education, it prompts the spirit to good and virtue, and keeps it

from wrongdoing in the same time. It educates mind on the right thinking and the sound logic measurement.

So, the story tries to make the receiver to ask the thing or keeping away from it, or trending it or disliking it.

المقدمة

وإيراد الحديث النبوي الشريف على شكل هذا النمط القصصي في سياق لغوي بلاغي هو الذي يبث الحياة في الصورة التشبيهية ويضفي عليها لوناً من الحيوية ويعمق إيحاءاتها إذ لم نلمس صوراً تشبيهية مركبة تنحو نحو المبالغات العقلية الذهنية، بل لمسنا تركيبا بسيطاً أنيقاً– إن صح تعبيرنا – يمكنه توليد إيحاءات لم تات لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تزيين كلامهم وتحسينه وإنما جاءت لهدف أسمى وهو إبراز المعاني في صور مجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما أنه أسلوب من أساليب التربية يحثّ النفوس على فعل الخير، ويحضّها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والأثم وهو في الوقت نفسه يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، وهذا يوازي في قيمته المعرفية المعرفة التي يقدمها البرهان، وتقدمها المعرفة الظنية التي يحققها الجدل، والمعرفة الإقناعية التي تملكها الخطابة، فهو (المثل / القصة) يسعى إلى حمل المتلقي إلى طلب الشيء الممثل به أو الهروب منه أو النزوع إليه أو الكراهة له.

مدخل :

القصة النبوية لون من ألوان بيانه الشريف (ﷺ) تمثل لبنة من لبنات الحكمة، وهي قبس من مشكاة البلاغة النبوية، بذّت كل بيان بشري في موضوعها، وأسلوب أدائها، وفي مقاصدها وغاياتها.

فهي في موضوعها نسيج من الصدق الخالص، لا تشوبها شائبة وهم أو خيال، إذ هي صفحة من صفحات الواقع يعرضها (ﷺ) بلا تزويق ولا تمويه، وهي في أسلوب أدائها نفحة من نفحات البيان العطر، المتفرد في بلاغة تراكبيه، وفصاحة مفرداته، وهي في مقاصدها وغاياتها نموذج من نماذج الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير.

ونحن حين نتحدث عن القصة في البيان النبوي فإننا نتحدث عن وسيلة من وسائل الدعوة اعتمد عليها (ﷺ) في التعليم والتوجيه والإرشاد.

وكل نص نبوي بعامة وقصصي بخاصة هو بشكل ما (بلاغة) أي أنه يمتلك وظيفة تأثيرية، وبهذا الاعتبار تمثل البلاغة منهجاً للفهم النصي للقصة مرجعه التأثير، وبهذا تفتح البلاغة النبوية مجال الترابط بين النص والفعل، بين اللغة وأفعالها، بدءاً من تفاعل الرسول (ﷺ) مع نصه والأثر المنعكس للنص عليه ففهم النص هو تطبيقه على أنفسنا بالأساس، وعليه فكل نص نبوي يمتلك القابلية للتحول إلى فعل لأنه مبني بالأساس على قوة، فإذا كانت هذه العقوبة والإمكانية محايثة لعمل النص في تحوله إلى فعل أمكن القول حينها ان البلاغة هي قوة اللغة وجوهرها، وهذا متحقق في بلاغته (ﷺ) التي هي ملكة من ملكات الخلق والتكوين، ووضع من أوضاع النسب والنشأة، ووجه من وجوه الأداء والتبليغ في رسالة كانت معجزتها (بياناً) يتلى.

فالخطاب النبوي القصصي متعدد الأبعاد:

- **البعد الديني**
- **البعد التعليمي التربوي**
- **البعد الحجاجي**
- **البعد الجمالي**

وهو في تحقيق هذه الأبعاد خطاب مركب، إذ لا تنفصل غاية عن أخرى، وصياغة ما يحقق البعد التعليمي ينطوي في الوقت نفسه على البعد الديني، كما ينطوي على البعد الجمالي ولا ينفصل عن البعد الحجاجي.

ولكن على الرغم من غاية البعدين الحجاجي والجمالي فانهما دون مستوى غاية البعد الديني، لان البعد الحجاجي ليس غاية مطلقة ولكنه لا يلبث ان يتحول كما ذكرنا سابقاً إلى وسيلة تمكينية، تتغير بدورها للتمكين من حقائق ذات وقع شديد في نفوس المتلقين على مختلف مستوياتهم، ثم إن البعد الجمالي لا يلبث أن يتخلى عن غايته ليتحول إلى وسيلة تسويفية تحقق بعداً تواصلياً.

فالقصة النبوية تجمع بين هذه الأبعاد جميعاً، والبحث في هذه الابعاد جميعاً أو فرادى بحث مشروع ومبرر معرفياً، بيد أن البحث في إحدى هذه الغايات على أنها الغاية التي ليس وراءها غاية يفتقر إلى المشروعية فيخطئ من يقارب النص القصصي النبوي بحثا عن الغاية الجمالية فقط لأنه بذلك يختزل النص إلى غاية إمتاعية خالصة.

فالاستعمال النبوي الخاص للغة يتطلب من دارسي البلاغة التأهب لخصوصية في الرؤية تتناسب مع خصوصية هذا الخطاب النبوي الذي يبنى على متكأ سياقي يتعلق بعناصر سياقية تحكم عملية التواصل بين المخاطِب – الرسول (ﷺ) والمتلقي – إذ يستهدف (ﷺ) بالإقناع من

يؤمنون به نبياً ورسولاً شاهدين وغائبين، فالسياق الذي يحكم طرفي الخطاب إنما هو سياق غاية في الصدق، ثم تأتي الصياغة بعد ذلك ليست من قبيل الإقناع بالحجة اللغوية الخالصة، لان اللغة تأتي هنا وسيلة لتمكين الحقيقة من نفس المتلقي، ومن هنا نقول لمغايرة بلاغة الخطاب النبوي لغيره من أنماط الخطاب بين البشر بعضهم البعض في دوافعه ووسائله وملابساته السياقية.

وعليه نستطيع أن نعرّف القصة النبوية بأنها: **ما حكاه الرسول (ﷺ) من أخبار عن الأمم السابقة أو أمور مستقبلية غيبية، الحقة التي لا زيف فيها مما يحقق الغاية من إيراد الحدث وإظهار النتائج، والتركيز على مواطن العبرة والعظة فيها، أي أنها حيز يتوافر على الشمولية والكلية في آثاره، ووجود بداية ونهاية للحدث ووحدة الحدث والشخصيات من فعل ومعنى في وحدة متجانسة لا تقبل التجزئة.** فهي أداء ينشط الحس الجمالي ويكيف السلوك مع الواقع عن طريق تفعيل الجهاز الرمزي الجماعي وبناء المنظومة الثقافية للقيم والبناء المعرفي، وهي تستدعي عند المتلقي العربي معارف موسوعته تغذيها حصيلة التجارب اليومية في عملية اتصالية جدلية بين القص والاستماع[١].

القصة التمثيلية:

يرتبط المثل بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً فهما يقومان على علاقة الجزء بالكل والعموم بالخصوص أي علاقة (التضمن واللزوم) فخصائص المثل هي نفسها خصائص البلاغة من حيث (إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه) . وهما ما جعل المثل: صورة بلاغية قصصية تنبني فيها العبارة على التمثيل بالدرجة الأساس، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب ، أو ما يسمى بالتشبيهات التمثيلية[٢]، والتمثيل من التشبيه إلا انه بغير آلته وعلى غير أسلوبه، فكل

تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا[٣]، وبما أن كل تمثيل يتألف بالضرورة من طرفين متشابهين – المشبه ، المشبه به – يجمعهما وجه شبه، فالعلاقة بينهما ليست فقط على مستوى البنية – إذ كلاهما يتألف من طرفين وجامع – بل على مستوى الوظيفة المعرفية لان وظيفة كل منهما المقاربة ، مقاربة طرفين بعضهما ببعض[٤]، وهذه العلاقة تكون جدلية بين التراكيب المكونة له، تلك العلاقة القائمة على الوعي والقصد، وقائمة على مبدأ التحفيز أي تحفيز المتلقي لإثارته للتعرف على مجهول بوساطة الإدراك العقلي للوصول إلى الدلالة المركزية للنص.

وعليه فان التمثيل قائم على عملية تعاقد[٥]، بين المشبه والمشبه به، فالمشبه هو الغائب ظاهرياً عن بنية القصة، والمشبه به هو الظاهر فيها، ولا يتم التوصل إلى بنية (المثل/ القصة) إلا بعد تحقق الترابط بين بنيتي المشبه والمشبه به، فكل تمثيل يتألف بالضرورة من طرفين متشابهين يجمعهما وجه شبه، إذ يساعد المشبه به الظاهر في الكشف عن بعض سمات المشبه الغائب لذلك تم وصف (المثل/ القصة) بأنه "تشبيه الأمر المجهول بالمعلوم والخفي بالجلي، ليزداد المعنى إيضاحا وتكشف فيه غرابة الأمر وإيهام المعنى ولو في بعض الوجوه"[٦] ولا يمكن فهم الغرض من التمثيل من دون ملاحظته في تركيبة النص لان هذه التركيبة توحي بالوظيفة الاثارية له ولذلك اقترنت البراعة فيه بالتفطن إلى العلاقات الخفية الرابطة بين عناصر موجودات النص[٧]، فيكون الهدف من الخطاب التمثيلي / القصة التمثيلية تقديم صورته وأجزاءه بشكل متناسق متسق مع السياق العام الذي يولّد العلاقات المختلفة الموحية للمتلقي بإثارات فنية ونفسية، وبهذا يغدو الخطاب التمثيلي دعوة لولوج المتلقي إلى ما ورائيات الأشياء، وكسب الظلال الإيحائية التي يبنيها النص، لان الفكر – فكر المتلقي – يعمل في التمثيل بالتأمل والتدبر واقتناص الدلالات، فضلا عن كونه يقدم عدة قراءات تبعاً لاختلاف ثقافة المتلقي وفهمه لدوال النص وهنا يأتي دور القارئ في مواجهة النص والكشف عن دلالته من خلال إيجاد الاتفاق

والاشتراك بين (المشبه/ المشبه به) وإدراك مصدر ماهيتهما، ومن ثم إيجاد الغرض من ذلك أي تحقيق التواصل بين اطراف الحدث الكلامي[٨]، وكل ذلك يقوم على ضرب من التأول[٩]، الذي يسعى إلى تحديد معنى النص وسبر غوره للوصول إلى الدلالات الخفية فمهمة التأويل تحقيق فاعلية التخيّل في الواقع لربط المعنى بشرط تحققه[١٠]، وبذلك يتحول التمثيل في القصة إلى آلة لنسج خيوط الخطاب فيغدو الخطاب التمثيلي سلسلة من العناصر المترابطة التي ترسم الشكل الدلالي للنص، بل ان التمثيل يعد أداة لتماسك النص وانسجامه، فـ " .....التشبيه منتزع من مجموعها من غير ان يمكن فصل بعضها عن البعض وإفراد شطر من شطر، حتى أنك لو حذفت فيها جملة واحدة من أي موضع أخلّ ذلك بالمعزى من التشبيه" [١١]، فتمثيل حقيقةٍ ما يعني إعادة صياغتها وتشكيلها تشكيلاً جماليا مؤثراً.

وإيراد الحديث النبوي الشريف على شكل هذا النمط القصصي في سياق لغوي إبلاغي هو الذي يبث الحياة في الصورة التشبيهية ويضفي عليها لوناً من الحيوية ويعمق إيحاءاتها إذ لم نلمس صوراً تشبيهية مركبة تنحو نحو المبالغات العقلية الذهنية، بل لمسنا تركيبا بسيطاً انيقاً– إن صح تعبيرنا – يمكنه توليد إيحاءات لم تات لغاية فنية بحثة كغاية الأدباء في تزيين كلامهم وتحسينه وإنما جاءت لهدف أسمى وهو إبراز المعاني في صور مجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما انه أسلوب من أساليب التربية يحثّ النفوس على فعل الخير، ويحضّها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والاثم وهو في الوقت نفسه يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، وهذا يوازي في قيمته المعرفية المعرفة التي يقدمها البرهان، وتقدمها المعرفة الظنية التي يحققها الجدل، والمعرفة الإقناعية التي تملكها الخطابة، فهو (المثل / القصة) يسعى إلى حمل المتلقي إلى طلب الشيء

الممثل به أو الهروب منه أو النزوع إليه أو الكراهة له، لأجل ذلك ضرب الرسول (ﷺ) طائفة من الأمثال في قضايا مختلفة وفي مواطن متعددة وقد جاءت هذه الأمثال على ثلاثة أنواع[١٢]:

١- **الأمثال المرسلة:** وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه كقوله (ﷺ) عن أبي هُرَيرَة (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ (ﷺ) يَقُوْلُ: ((**يَدْخُلُ الجَنّةَ مِنْ أُمّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ الَفاً تُضِيٌ وُجُوهُهم إضَاءةَ القَمَرِ ليْلةَ البَدرِ**)) **وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فقام عكاشة بن محصن لاسدي يرفع نَمرةً عليهِ، فَقالَ : يا رسُولَ الله ادّع الله أنْ يجعلني منهمْ . قالَ ((اللّهُمَ اجْعَلْه مِنَهم)) . ثمَ قامَ رجلً من الأنصارِ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ ادّعُ اللهَ أنْ يجعلنِي منهمَ، فقال: ((سَبَقَكَ بِهاَ عكاشةُ)) (متفق عليه)** [١٣] وهذه العبارة صارت مثلا يضرب.

٢- **الأمثال الكامنة:** وهي التي لم يصرح بلفظ التمثيل فيها، ولكونها تدل على معان رائعة في الايجاز يكون لها وقعها إذا نُقِلتْ إلى ما يشبهها كقوله (ﷺ) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ((**لا يُلَدغُ المُؤمِنُ مِنْ حُجْرٍ واحدٍ مرّتَين**)) [١٤].

٣- **الأمثال الظاهرة:** وهي ما صرّح بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه وهي على نوعين:

أ- **الأمثال التي لا تأخذ الطابع القصصي:** كقوله (ﷺ) عن ابي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ((**مَثَلُ الذَي يِذكرُ رَبَّه والذي لا يَذكُرُ رَبّهُ كَمَثَلَ الحَيَّ والمَيَّتِ**)) [١٥].

ب- **الأمثال القصصية :** وهي أمثال ضربها الرسول (ﷺ) على شكل قصص قصيرة وقصها الرسول (ﷺ) على المسلمين للعظة والعبرة والدعوة، إذ لا يخلو مثل هذه الأمثال من عناصر القصة المعروفة من أحداث وشخصيات وحوار وبيئة، وهذا أمر طبيعي ما دامت قد صيغت على شكل أقاصيص قصيرة ففيها تتوفر اغلب دعائم القصة أن لم يكن جميعها[١٦]، وهذا النمط هو الذي يدخل ضمن دراستنا عن القصص التمثيلي فالرسول (ﷺ) يقول في مطلع كل

قصة من هذه القصص وهو يطرح الفكرة الذهنية (مثل كذا كمثل كذا....) وهذا يعني إن الرسول (ﷺ) ينشى هذه القصص ابتداء ليعرض من خلالها الفكرة في صورة مجسمة، وهذا التمثيل في الوقت الذي يجسم الفكرة في واقع عملي نستطيع أن نتصوره وأن ندركه من خلال حركة القصة فإنه أيضاً يضيف إلى إحساسنا الذهني إحساسا شعوريا يتغلغل في نفوسنا من جراء جو القصة وما توحي به مواقفها من عواطف وانفعالات(١٧).

ولعل من تمام الحديث عن القصص التمثيلي النبوي أن نبين الأشكال البلاغية التي وردت بها، فقد بُنِيَ المعنى في أكثر الأحاديث التمثيلية القصصية على هيئات أسلوبية متشابهة تظهر واضحة في تمثيله (ﷺ):

- فقد يأتي المشبه مبهما لا يتضح في الكلام فتاتي صورة المشبه به لتوضيحه كما في قوله (ﷺ) : على سبيل المثال لا الحصر.

(مَثَلُ ما بَعثَنَي اللهُ بهِ مِنْ الهَدى والعَلَم كمثلِ الغيثِ...)

(مَثَلُ القآئِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ والْواقِعِ فِيَها، كَمثلِ قَوْمٍ استَهَمُوا عَلَى سَفِينة....)

(إنّما مَثَلي ومَثَلُ النّاسِ، كَمَثلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَاراً،...)

وهذا النوع يأتي التمثيل به بـ(مثل) في الأكثر وتكون صورة (المشبه به) قصة تحكى، ولهذا قلنا ان المشبه مبهم وما يوضّحه هو القصة التي بعدها .

- دخول لفظ (المثل) على الطرفين – المشبه والمشبه به نحو:

(مثل..... كمثل...)

ودخول (الكاف) على (المثل) الداخلة على المشبه به نحو:

(مثلي ومثل ....كمثل.....)

فتاتي الصورة التمثيلية في هذه الانساق متعددة الدلالة في طرفيها، فالتمثيل بذلك يتمتع بالقابلية على رسم الصورة التي تتألف من طرفين هما: "المعنى واللفظ والإبداع يكمن في التعادلية بين الطرفين، فلا زيادة ولا نقصان، لا يفضل المعنى على لفظه شيئا ولا اللفظ على المعنى، والصورة – المتكونة في القصة – تسير بين الأفئدة بعبق ألفاظها ومعانيها" (١٨).

وقد وظف هذا النوع من القصص توظيفا دينيا وفنياً بوقت واحد فـ " الاستخدام الديني متمثل بالتعلق بنتائج هذا التمثيل فيما يؤثره في النفس الإنسانية رغبة في الوعد الحسن، والثواب الجزيل والجزاء الأوفى، الذي لا حدود لا فاضته ، أو رهبة من المصير المرعب الذي ينتظر أصحاب المعاصي.... والاستخدام الفني وهو يضفي على المناخ الديني بمجيء زيادة في الإيضاح وعمدة في التصوير حتى يعود المتخيل محققاً، والمستبعد قريباً، والخفي واضحاً وذلك بإضفاء الصفات المتعددة على الشيء الواحد، بغية التطلّع إلى مجموعة جديدة من الهيئات المركبة المتداخلة التي امتزجت وكأنها صورة واحدة وهي عدّة صور"(١٩).

نماذج تطبيقية:

قصة النذير العريان:

عن أبي موسى الأشعري (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال : ((إنّما مَثَلي ومَثَل ما بَعَثنيَ اللهُ بِهِ كمثلِ رَجُلٍ أتى قوماً فَقَالَ: ياقومِ إنّي رأيتُ الجَيَشَ بعيني وإنّي أنَاَ النّذيرُ العُريَانُ فالنّجاءَ النّجاءَ فأطَاَعَتَهُ طَائفةٌ من قومِه فأَدلجوا فانْطلقوا على مَهْلِهِم فَنَجَوا وكذّبتْ طائفةٌ مِنهُمْ فأصْبَحُوا مَكَانَهم فَصَبّحَهُمْ الجّيشُ فأهْلَكَهُمْ واجْتاحَهُمْ فَذَلكَ مَثَلُ مَنْ أطَاَعَني فَاْتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ومَثَلُ مَنْ عَصَآنِي وكذَّبَ بِما جِئْتُ بِهِ مِن الحقِّ))(٢٠).

فالتشبيه التمثيلي في الحديث الشريف يجسد لنا صورة حية لحاله عليه الصلاة والسلام في الإنذار ولأحوال السامعين لإنذاره، إذ شبه نفسه مع قومه بصورة (النذير العريان) الذي تجرد

دلالة على قرب الخطر، فجعل يهتف فيهم بالجملة التي اعتادوها عند وقوع أمر جلل (النجاء النجاء) بجامع صورة أمر أكدته الشواهد وصدقته الأدلة ففاز من صدّق، وهلك وخسر من كذب، وهذا بخلاف التمثيل في الحديث الأول فإن ذلك بالنسبة إلى تحصيل العلم والانتفاع به، والى الأعراض عنه فهما مثلان مختلفان[٢١]، فمع الابتداء بالنبرة التقريرية بـ ((إنّ)) التي دخلت على الخبر احتفاء به إذ أراد الرسول (ﷺ) إشعار قومه بأهمية هذا الأمر فأكد بها وبالضمير وبإضافة ((مثل)) إليه (ﷺ) ثم كررها في المشبه إشارة إلى الفارق بين صفته (ﷺ) التي بعث بها رحمة للبشر، وبين صفة العذاب الأليم، ومع وجود الاسم الموصول المبهم ((**ما**)) الذي جاء للدلالة على عظم الأمر الذي بعث منذراً به وجلاله وإبهامه هذا يدل على عظم خطره وفي قوله: ((**ما بعثني**)) العائد محذوف والتقدير بعثني الله به إليكم وفي تنكير ((**قوماً**)) دلالة على الشيوع[٢٢]، كل ذلك شكل متوالية خطابية قائمة على خلفية ضمنية من الإشارات المشتركة بين المتلقي والنص، ومثل هذا الاستهلال يمثل الجزء التكثيفي في القصة لتأتي بعده القاعدة التفصيلية للبؤرة المركزية فيها، وهي بؤرة توالديّة فكل جملة تنتج ما بعدها، ولا ريب في ان ما يقوي اثر الواقع في المطلع هو أن الرسول (ﷺ) وهو السارد لايباشر وظيفة الحكي بل يتجاوز ذلك مستعملا ضمير المتكلم إلى سارد داخلي – حكائي وقد خولته هذه الصفة بتبئير السرد على ذاته دون سواه من الشخصيات أو الأماكن والأزمنة، متخذا من نفسه وما بعث به بؤرة لخطابه، نافذا إلى مراده من خلال قصة (النذير العريان) والنذير العريان مثل سائر عند العرب يضرب لشدة الأمر ودنوا المحذور وبراءة المحذر من التهمة. وقد كثرت روايات هذه القصة واختلف في تحديد أصلها[٢٣]. وهذه الكثرة تدل على أن الحقيقة الأولى غابت مع الزمن وبقي مدلولها الذي يعني الإنذار الصريح، والرسول (ﷺ) حين شبه بها بث فيها الحياة، وألبسها معاني إسلامية جديدة اقترنت بها، فهو (ﷺ) على علم بأحوال البيئة العربية من عادات ومعتقدات وأخبار، كيف لا وهو من اعرق

بطون العرب واعرفهم، وهذا ما عبر عنه ابن حجر بقوله: ضرب النبي (ﷺ) لنفسه ولماء جاء به مثلا بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه [٢٤].

وبذلك أصبح المتلقي منجذبا إلى الأنا المتلفظة والى الرسالة المرسلة من الرسول (ﷺ) إليه وبالتالي يتحقق التواصل بين النص والمتلقي فتؤلف هذه الإجراءات بلاغة نصية تتكفل مباشرة بالجواب عن أسئلة النص المحورية:

– ما الذي جاء به النذير العريان ؟ ما الحدث ؟ ومن يفعله ؟ أين يقع ؟ ومتى سيقع ؟ لنبدأ أولا بصورة النذير العريان مع قومه، ولنتأمل منطقه وهو يتحدث إلى قومه وهنا يستخدم الحوار جنباً إلى جنب مع السرد بل جاء جزءا منه ومتمماً له، فالحوار على لسان النذير العريان مع قومه جسّد لنا الحدث وتطوره إذ جعله حاضراً مشخصاً فالحوار في القصة النبوية يعمل على تدعيم البنية القصصية، وإعطاء السرد نوعاً من الحيوية والإثارة فضلاً عن كونه أداة الشخصيات في التعبير عن أفكارها وآرائها. والحوار على لسان النذير العريان جاء مطابقاً لشخصيته، إذ شكل مفتاحاً للوصول إلى جوهر الحدث وصدق ما جاء به، فمن خلال المؤكدات التي ساقها في جملة المثل:

أولها: قوله: **((ياقومِ إنّي رأيتُ الجَيَشَ بعيني))**

أكدا أمر رؤيته بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي **((إني رأيت))** وما يقتضيه ذلك من تقوية للمعنى وتقرير حصول الرؤية منه، وجاء التعبير عن رؤية الغارة بالفعل الماضي **((رأيت))** تنبيها للنفوس وإيقاظاً من غفلتها وتحقيقا لرؤية الجيش، منذراً بالهلاك المؤكد .

ثانيها: الإشارة إلى أداة الرؤية (العين) لتصديق الخبر بشاهد لا ترد شهادته، فالرؤية لا تكون الا بالعين، وإضافة العين إلى ضمير المتكلم فيه زيادة لا تلزم لغير هذا المقصد وهي تعلق الرؤية بأداتها، والعين تمتلك القدرة على الوصف العميق وإبداء الرأي، فعن طريقها نقل النذير صورة الجيش المرعبة بإشارته إلى عينيه اللتين غدتا عند المتلقين أداة لرسم تلك الصورة في أذهانهم كأنهما نافذة يبصرون من خلالها الجيش المعهود عندهم [٢٥].

ثالثها: سُبِقَتْ جملة المثل بالنداء بقوله: ((**يا قوم أني رأيت...**)) للفت الانتباه والإشارة إلى ما أراد قوله ثم عطف عليها جملة ((**واني أنا النذير العريان**)) مؤكداً بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت و((**إن**)) الداخلة عليها وتكرار الضمير، والتعريف في ((**أني أنا النذير**..)) اختصاص وقصر للنذير العريان عليه (ﷺ) وبهذا القصر كأنه (ﷺ) يعيد إلى الوجدان هذه القصة ويشير إلى انه الأحق بها من صاحبها الأول، فالرسول أقحم كلامه عن نفسه في أثناء كلام النذير العريان، فكأنه كلم الناس بنفسه وفي ذلك "إشارة إلى تعظيم الهول وكأن الهول الذي انذر به الأول لم يكن هولاً بالنسبة إلى ما ينذرهم به ، وكأن الوصف الحقيقي للنذير العريان يجب أن يكون له (ﷺ) ولا يزاحمه فيه أحد"[٢٦] وقد تحقق القوم قديما من صدق (النذير العريان) فيما انذر وكانت صفة (العريان) صرخة في وجه المكذبين، فالعري: خلو ظاهر الجسم عما يقيه من كل شيء يؤذيه كلفح حرٍ أو قَرِصِ برد...الخ [٢٧]، فهو يدل على التجرد والخلو[٢٨]، وقد يسأل سائل إذا كان هذا مدلول (العري) كيف وظفه الرسول (ﷺ) ونسبه كصفة له بعدّه صفة من صفات المشبه به الذي جاء متعدداً ما بين الإنذار والعري ؟ إن الجسد هنا ليس مجرد رزمة من الأعضاء ولا سيلاً من الوظائف بل تحول الجسد العاري إلى دال ينبثق عنه مدلولات ذات أبعاد عميقة فـ (الدال) النذير العريان لا يوحي بالهيئة الحاصلة من ذاك الإنسان الذي قصده الرسول من حديثه، إنما قصد من

هذا الدال مدلولات عدّة انطلاقا من الصفة الجامعة بين الرسول (المشبه) والنذير العريان (المشبه به) وبذلك سجل الجسم العريان حضورا جديداً ايجابيا لان العري تحول إلى شفرة تنقل المتلقي إلى عالم المعنى فـ " الشفرة نسق من العلامات تتحكم في إنتاج الرسالة ليتحدد مدلولها بالرجوع إلى النسق نفسه، وإذا كان إنتاج الرسالة هو نوع من التشفير فان تلقي هذه الرسالة وتحويلها إلى مدلول هو نوع من (فك الشفرة) عن طريق العودة بالرسالة إلى إطارها المرجعي في النسق الأساسي" [٢٩] فتحول العري إلى مدلول ايجابي إذ جاء دليلا على صدق النذير القاطع فيتنامى صدق الإنذار قوة بنسق التأكيدات (بعيني + إني أنا + العريان) فتعكس في نفس المتلقي فزعاً يدفعه إلى الهرب من الخطر المحدق به، ومما لا شك فيه أنّ صفات (النذير العريان) إشارات تضيء جوانب المشبه الرسول (ﷺ) فـ " الرسول رأى مواطن الخطر وخبر بها، والنذير العريان إشارة إلى الحجة العقلية التي جاء يحملها عليه الصلاة السلام وهي حجة واضحة ساطعة تدل دلالة لا لبس فيها على انّه صادق أمين"[٣٠]، ثم يعلو صوت النذير مؤكداً امر صدقه بشتى وسائل التأثير فيقول: **((النّجاء النّجاء))** أي اطلبوا النجاء وهو منصوب على الإغراء وحذف الفعل هنا يقتضيه الموقف لأنه موقف سريع ومؤثر لا تؤثر فيه إلا الجمل المختصرة فشكّل الحذف إشارة بليغة إلى ان قضية الإنذار قضية جوهرية ومحور رئيس في البناء القصصي للحديث، وقد وظف المصدر **((النجاء))** لغرض تأكيد الأمر والمبالغة فيه ولاسيما بتكرار اللفظ، وكأنه لضيق الوقت وللتعجيل بالهروب قبل مداهمة الجيش استخدم المصدر بدل الفعل[٣١].

وبعد ان بلّغ هذا النذير قومه وانذرهم بأسلوب مؤثر ظهرت طبائع النفوس في استجابتها للدواعي، فقد انقسم القوم بعد إنذاره على قسمين:

- طائفة أطاعت فـ **((ادلجوا))**..... فـ **((نجوا))**.....
- وطائفة كذبت فـ **((فأصبحوا))**..... فـ **((اجتاحهم))**.....

فالطائفة الأولى صدّقت فور إنذارها وهذا ما تدل عليه ((**الفاء**)) في ((**فأطاعته**)) ((**فادلجوا**)) أي ساروا أول الليل فور إنذارهم حتى لا يدهمهم العدو، و (الفاء) تشير إلى ذلك وتربط السلوك ربطا محكماً مباشراً بالاعتقاد وكأنهم ما أن أطاعوه إلا ادلجوا، فالطاعة وحدها لا تنجي، بل يسبقها التصديق، والنجاة موقوفة على الطاعة لهذا قابل معنوياً بين (الطاعة) و(الكذب):

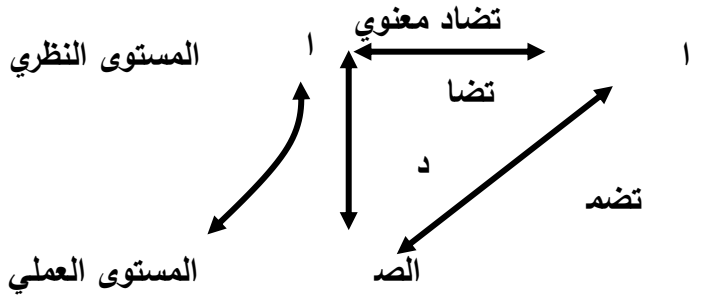

فالطاعة: "الانقياد وتقال في الائتمار لما أمر"[٣٢]، والكذب: "الأصل فيه في القول ولا يكون في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام"[٣٣] ويقابله الصدق: وهو "مطابقة القول بين الخبير والمخبر عنه معاً " [٣٤]، فيكون التقابل على المستوى التطبيقي:

نظرياً: الطاعة ← تقابل : الكذب

عمليا: الصدق ← يقابل: الكذب ايضا .

ولدى اخذ الإمكانات الدلالية لكلمة (الطاعة) بالاعتبار نلحظ أن الكلمة المذكورة في أصلها بديل تعبيري لكلمة (الصدق) من خلال علاقة التضمن. لان الطاعة تتضمن الائتمار لما أمر، وهي مسبوقة بالتصديق والتكذيب مستتبع للعصيان.

فالطائفة الأولى صّدقت فور إنذارها فأدلجوا صورة سريعة تتلاحق أفعالها عاكسة سرعة القوم في طلب النجاء، فكان هربهم ادلاجا في جوف الليل، فشبه الرسول (ﷺ) من أطاعه وتبعه واتبع ما جاء به واختار لنفسه أفضل طريق يحال من صدق ذلك النذير الذي حذرّه فنجا وسلم ماله وعرضه، ووجه الشبه بين الطرفين طاعة ترتّب عليها نجاة وفوز.

أما الطائفة الثانية: هي التي كذبت ورفضوا داعي التغيير وتشبثوا بما هم عليه، ووقفوا في مكانهم حتى أُهلكُوا وفي قوله: **((كذّبت))** بقطع المفعول إشارة إلى توفر الغرض على وقوع الفعل من الفاعل أي إثبات التكذيب لهم وان هذا من شأنهم وكأنهم كذّبوا على غير تدبّر ومراجعة ونظر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الطائفة الأولى ((**فطاعته طائفة من قومه**))، وذكر الفعل متعدي إلى مفعول أي أن هذه الطائفة سمعته واستوعبت مقالته بخلاف الطائفة الثانية، فشبه عليه الصلاة والسلام من عصاه ولم يتبع ما جاء به واعرض عن هديه بحال أولئك الذين لم يصدّقوا ذلك النذير واستخفّوا أمره واعرضوا عن نصحه ووجه الشبه التكذيب والأعراض الذي أعقبه الهلاك فجأة **((فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم))**، ولا يخفى ما لغارة الصباح عند العرب من إثارة لمشاعر الفزع والهلع وهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح[٣٥]، ففي هذا الوقت يكون الإنسان أما نائم أو قريب عهد بالنوم فهو الوقت الملائم للغارة وفي قوله: ((**فأصبحوا... فصبّحهم....**)) تناغم صوتي واضح من حيث التجانس الاشتقاقي وهذا النوع من الجناس يعد "أكثر أنواع الجناس اعتماداً على الجرس في تمييز المعنى الحادث باشتقاق اللفظ" [٣٦] فـ **((أصبحوا))** تهيء

السياق لكلمة فـ ((**صبحّهم**)) فما داموا باقين في مكانهم فحين يصبحون سوف يجتاحهم الجيش صباحاً، ولن يبق منهم باقية وهذه نهاية العصيان.

فأفاد تركيب طرفي التقابل في إيجاد حتمية الاستجابة للنذير في المشبه به طلباً للأمن من اجتياح الجيش، وينعكس كل هذا في المشبه المركب إذ يوجه القوم إلى إتباع رسول الله (ﷺ) وإلا فالهلاك المحتوم، فكلما وجد نذيرٌ ينذر قومه بالغارة وجبتْ عليهم طاعته حتى ينجوا بأنفسهم(٣٧).

وفي القصة لفتة بلاغية تضمنها الأسلوب النبوي الرفيع، حيث آثر الرسول (ﷺ) في تعبيره الدقيق، أن يقول بجانب الطائفة التي تحقق لها النجاة: ((**أطاعته طائفة**)) على أن يقول: ((**صدقته**)) وآثر أن يقول بجانب الطائفة الأخرى: ((**كذبته**)) على أن يقول: (عصته) ولو أنه عبر في الموضعين بصدقت وكذبت أو بأطاعته وعصته لكان في الحالتين قد أتى بمحسن بديعي حيث ذكر لفظين متقابلين في المعنى لكن عمق المعنى وبعد المغزى الذي استهدفه رسول الله (ﷺ) في التعبير عن الطائفتين، كان أروع بياناً وأعظم بلاغة من المحسن البديعي الذي كان يتحقق بمجرد كلمتين متقابلتين.

ففي إيثار الرسول (ﷺ) كلمة ((**أطاعت**)) على كلمة (صدّقت) ما يفيد أن النجاة لا يكفى في تحققها مجرد التصديق بل لابد أن يقترن التصديق بالعمل والتطبيق كما أن في إيثار الرسول (ﷺ) كلمة ((**كذّبت**)) على كلمة (عصت)، ما يفيد أن استحقاق العقاب يكفي فيه مجرد التكذيب، إذ لو وجد من المكذب عمل ظاهري بشيء من الطاعات وقلبه مكذب لم يغن عنه ذلك العمل شيئا، كما هو شأن المنافق الذي يبطن خلاف ما يظهر، فما أروعه من أسلوب بلاغي رفيع أدى الغرض المقصود من التبليغ والتبيين بكلمات سهلة واضحة وعبارات جزلة أصيلة أتم وأوفى أداء.

فشكل التمثيل النبوي بالعبارات والجمل في هذه القصة نصّا متماسكاً، ففي الوقت الذي شرع فيه الرسول بالتلفظ يناظره شروع مسرود له بالتلقي يبدأ بتصور صورة لشخصيته التي شكّلت إسناد الحدث من خلال عقد مقارنة بين المشبه والمشبه به فنتج بناء هرمي شدّ المتلقي إلى معرفة التفصيلات المتوالدة في النص إذ يفضي كلّ مقطع إلى الذي يليه حتى يتم النص مع تمام الإفهام والتأثير عارضاً من خلاله صورة فنية مشوبة بدلالات الترهيب تدفع بالمتلقي إلى الابتعاد عنها طالبا الأمن.

قصة الرجل الذي استوقد ناراً:

عن أبي هريرة (ﷺ) أنه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: ((إنّما مَثَلي ومَثَلُ النّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَاراً، فلّما أضاءتْ ما حْولَهُ، جَعَل الْفَراشُ وهَذَه الدّوابُ التي تَقَعُ في النّارِ، يَقَعْنَ فيها، فَجَعَل يَنْزُعْهُنَّ، ويَغْلِبنهُ فَيَقْتَحِمَنَ فيها، فأنا آخذٌ بِحِجْزِكُمْ عَن النّارِ، وهَمُ يَقْتَحِمُون فِيها))[٣٨].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام حاله مع الناس في حرصه على نجاتهم ومبالغته في زجرهم عن الإقدام على المعاصي مع حرصهم الشديد على الوقوع فيها، معرضين عن النصح غير ملتفتين للمنذر الذي يبصّرهم بعاقبة إعراضهم شبه حالته هذه مع الناس بحال رجل أوقد ناراً، فانجذبت الفراشات والحشرات إليها فسعت إليها وألقت بنفسها فيها دون هوادة وتبصر، ولكن الرجل قد منحه الله العقل والرحمة والبصيرة، يعرف بنتيجة هذا التهور ونهايته لذلك يمنعها ويدفعها ويحول بينها وبين ان تلقي بنفسها، ولكن جهلها وحمقها يدفعها، واستهواء الضوء إياها يغريها فيسوقها إلى أن تلقي بنفسها إلى التهلكة غالبةً من يمنعها متفلتةً ممن يحول دون اندفاعها تشبيه

في غاية الروعة جميع عناصره يوحي بعضها إلى بعض بمزيد من الصفات والدلالات التي تثري الصورة وتبعث فيها الحياة والحركة، فتمثيل حقيقة ما يعني إعادة صياغتها، فالقصة التمثيلية هي من جهة صورة ما ، ومن جهة ثانية إفراز لأثر نفسي يساعد على الاقتراب من الحقيقة المراد إيصالها، بل إن إيراد أو عرض ما يراد إيصاله على شكل قصة تمثيلية يوازي في قيمته المعرفية، المعرفة التي يقدمها البرهان، فما تهدف إليه القصة التمثيلية في المقام الأول التأثير في المتلقي، وحمله إلى طلب الشيء الممثل به أو الهروب منه أو النزوع إليه أو الكراهة له، فضلا عن تحقيقها اللّذة والتخيّل والانفعال فطرف الصورة الأولى (المشبه) مركب من ((**مثلي ومثل الناس**))، وطرف الصورة الأخر (المشبه به) صورة الرجل المستوقد المعادلة للرسول (ﷺ) وهو تركيب من عدة دالات تشكّلت نتيجة وجود علاقة جدلية بين التراكيب المكونة له، وهذه العلاقة قائمة على الوعي والقصد ومبدأ التحفيز، أي تحفيز المتلقي لإثارته للتعرف إلى صفات هذا الرجل المستوقد للنار بوساطة الإدراك العقلي للوصول إلى الدلالة المركزية في النص، وهي بيان حرصه عليه الصلاة والسلام على أمته ورحمته بها مع توضيح انجذاب وسرعة توجه الناس إلى المعاصي لما لها من بريق وتزيين وفي حقيقتها سم زعاف يشبه النار.

ولا يمكن الحديث عن الالتئام والالتحام بين مكونات أو أجزاء هذه الصورة مالم تُذكر أداة التشبيه (الكاف) التي وان كانت تمثل الفاصل أو الحاجز بين طرفي الصورة[٣٩] إلا أنها في الوقت نفسه من وسائل الاتصال بينهما، تقرب الأطراف المتشابهة بعضها من بعض وتعمل على عقد مقارنة بين طرفي التشبيه لإدراك ابعاد الصورة، وقد جمع بينها وبين ((**مثل**)) للدلالة على تشبيه الهيئات والأحوال تمثيلاً، إذ لو دخلت الكاف على ((**رجل**)) لتوهم بادئ الأمر مشبها به افراداً[٤٠] وابتداء النص بـ ((**إنّما**)) أفاد في قصر المشبه على المشبه به وهذا يزيد في قوة تدفق المعاني بينهما، وقد كرر لفظ ((**مثل**)) في طرف الصورة الأول (المشبه) الذي كان في اللفظ الأول مضافاً

إلى ياء المتكلم التي تشير إلى نفسه الكريمة صلوات الله عليه، لان الصلة بينه وبين الناس **(من أمته)** أكيدة لا يعتريها الشك مطلقاً، كما أن تكرار لفظ **((مثل))** في طرف الصورة الثاني (المشبه به) إشارة إلى التفريق بين المثلين، وهكذا كان المشبه بإجماله وتركيبه تركيباً عقليا، فتطلب نفس المتلقي بعد هذا التشبيه ذكر التفاصيل وإدخالها في نطاق الحواس، فضلا عن اندفاعها للبحث عن المقصور عليه وهو المشبه به الذي جاء مركبا حسيا في قوله **((كمثل رجل استوقد ناراً))** معبراً عن صورة متعددة الزوايا شائعة في حياة المتلقين بدلالة تنكير لفظة **((رجل))** الذي اقتصرت مهمته في القصة على القيام بالحدث، فمحور التركيز هنا هو على ما تؤديه هذه الشخصية – الرجل من عمل وما تلتزمه من موقف الذي تمثل بعملية الإيقاد . وفي كلمة **((استوقد))** دلالة على الوقت والجهد اللذين استنفذهما الرجل في طلب إيقاد النار بان يعالج إيقادها وسعى في تحصيل آلاتها فانتشر الضوء حول الرجل المُستَوقِد انتشاراً شمل مساحة بصرية واسعة مركزها هذه النار، وبالمثل الرسول (ﷺ) قد بين أسباب الهداية حتى بلغت الآفاق بدلالة مضي الفعل **((أضاءت))** فمركزها دين الله فلا عذر لأحد، ثم تتحول هذه النار إلى صورة أخرى دالة على نار الآخرة، ويأتي جواب الشرط فعل شروع **((جعل الفراش))** فبمجرد ما أن أتت الإضاءة كان شروع الفراش في الوقوع في النار، وان في ارتباط جواب **((لما))** بشرطها إشارة إلى ارتباط المسبب بالسبب في الوجود، وبالمثل حال العصاة حالما يرون المعاصي ينخدعون بلذتها ويرتكبونها، ولا يخفى ما في اختيار الفراش والجنادب للعصاة والمعرضين لما في هذه العناصر من الدلالة على الضعف والوهن وسرعة السقوط وعدم التحمل وصعوبة الرد، وفي لفظ الفراش إيحاءات في كلام العرب، فهم يتمثلون بها في الحمق والخفة لأنها تطرح نفسها في النار[٤١]، لأنها ضعيفة البصر، لذلك فهي حين ترى الضوء تعتقد انه كوة يظهر منها النور متقصدة لأجل ذلك فتحترق وقيل أنها تتضرر من شدة الضوء فتقصد إطفاءه ولشدة جهلها تورط نفسها فيه[٤٢]،

والفراش هم العصاة الذين ضلوا عن الجادة، فهم عمي البصيرة ضعاف الأنفس أمام شهواتهم، وقد اقترن وصفهم بالفراش بوصف الدواب الذي سبق باسم الإشارة ((**هذه**)) استحضاراً لصورتها في خيال المتلقين، وتمييزها أحسن التمييز في موقف جعلها مشبها به، محققة من خلالها فائدة عموم نوعها، إشارة إلى تعدد أصناف الناس الذين سيرون النار، وتتجلّى دقة التعبير النبوي في وصف الفراش والدواب التي تقع في النار تحقيراً لشأنها، اذ ان الفراش لا يسمى دواباً في العرف، وإنّما قصد ذكر الدواب لبيان جهلها.

وهذه الفراش والدواب اتّخذت وقوعها في النار ديدناً لها بدلالة قوله: ((**التي تقع في النار**)) وبالمثل العصاة الذين جعلوا اقتران المعاصي ديدنا لهم، اصراراً منهم على ارتكابها كالفراش يصرّ على اقتحام النار، وفي تكرار الصلة في قوله: ((**تقع في النار**)) يجعلها جواباً لفعل الشروع ((**تقع فيها**)) مما يشير إلى الاستسلام وعدم التدبّر لما هو معتاد، والنظر إلى ما يجره من الردى[٤٣].

ويتفق بريق ضوء النار مع طلب الفراش لضوء النهار ليلاً ((**فجعل الرجل**)) هكذا بإسراعه إلى إنقاذها لخوفه عليها بشروع يقابل شروعهم، فكان دأب الرجل ((**ينَزعُهنَّ**)) ويكفّ الفراش عن إتباع مرادها باقتحام النار، وبالمثل رسول الله (ﷺ) كان دابه ان يكف الناس عن إتباع شهواتهم بارتكابهم المعاصي – لكن الفراش والدواب ((**يغلبنه**)) ((**فيقتحمن فيها**)) وهنا تشكّلت لدينا صورة تقابليّة قائمة على حركية الفعل ورد الفعل ابتداء من الوقوع مروراً بالنزوع والغلبة وانتهاءً بالقحم.

ف (وَقَعَ): الوقوع: السقوط[٤٤].

و (نَزَعَ): النزع نزع الشيء جذبه من قعره[٤٥].

و (غَلَبَ): الغلبة : تدل على قوة وقهر وشدّة[٤٦].

و(قَحَمَ): القحم: قحم نفسه قحوماً رمى بنفسه فيها من غير روية[٤٧].

فالسقوط: حركة هابطة توحي على مستوى الدلالة بـ(الضعف، الخطر، الموت، التردي في الكفر أو الشرك...) وتوّلد هذه الحركة في المتلقي شعورا بالتوتر والمقاومة

النـزع: حركـة صـاعدة فيهـا شد وجـذب نحـو الأعلـى تـوحي علـى مسـتوى الدلالـة بـ(القوة، العـزة، الروحانية...)، وتولّد هذه الحركة في المتلقي شعورا بالراحة في النزوع إلى الأعلى لما في ذلك من التسامي أو العظمة.

الغَلبةُ: حركة وفق المشهد المعروض فيها شدّة منتهاها السقوط

القحم: حركة هابطة ايضاً

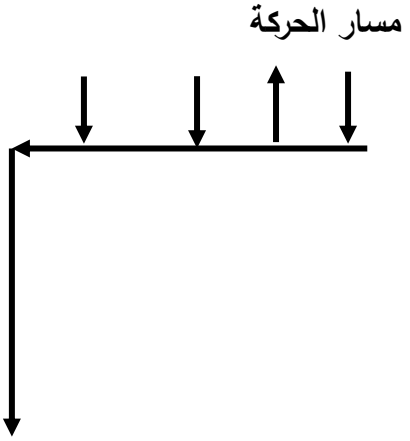

الأخذ بالحجز = استعارة شبه فيها حالهُ) في منعه الأمة عن ﷺ(الهلاك بحالة رجل اخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوي في مهواة مهلكة حركة فيها جذب النتيجة (تقتحمون فيها)

فيصبح مسار الحركة الصاعدة مقاومة الجذب نحو الأسفل فيشكل قطباً مضاداً للحركة يوحي بالحياة مقابل الموت لان هذه الحركة تتطلب جهدا أقوى وأقسى واعنف من الجهد المبذول في الانحدار أو

السـقوط (الأسـفل) حركـة

فثنائية (الأعلى / الأسفل) أضفت بعداً بصرياً على الأفكار المجردة وجعلتها مفهومة إذ نتيجة تلك الدوال الحركية هي عدم مفارقتهم للمعاصي، فمستوى التمثيل في الحديث ينطلق من مظهر "التجسيد الحركي الممتد، بحيث نجد حركة المعنى المجرد وقد اكتست صورة محسوسة متحركة وذات اتساع واضح وامتداد ملحوظ تكتمل بهما أفاق الحركة مع اكتمال ملامح الصورة"(٤٨).

فالمتلقي عندما يعقد مقارنة بين (الأعلى / الأسفل) بآلية التضاد سيعطي لنفسه مجالاً للتفكير بين الشيئين المتقابلين ليأتي بعد ذلك الحكم على أيهما أحق بالإتباع والاختيار(٤٩)، فثنائية (الأعلى / الأسفل) لها تأثير بالغ في تفكير الإنسان فكل ما هو ايجابي يتجه نحو الأعلى، وكل ما هو سلبي يتجه نحو الأسفل، وكل ذلك يرتبط بعقلية المتلقي وينبثق من تفاعله مع المحيط الفيزيائي، ونحن عندما نقول ان حركة النزع والأخذ بالحجز = أعلى، والقحم والسقوط = الأسفل، لم نقصد بالعلو والانخفاض الراجع إلى خط مستوى النظر بقدر ما هو راجع إلى مستوى حركية هذه الأفعال في التعبير عن الحالتين المتقابلتين (الفعل ورد الفعل) بالنسبة لبعضهما، فبين الحالتين تقابل حركي احدهما ينسحب نحو الأعلى والأخر يبتعد عن هذا المستوى، فضلا عن حركية الأفعال المضارعة ((**يقعن، بحجزهن، يغلبنه،يقتحمن، تقتحمون**)) التي تبعث الروح في النص بدلالتها على الاستمرار واستحضار الموقف، فالوصف بالمضارع "يصور الماضي والمستقبل صورة الحاضر الماثل وحال ذلك الرجل الذي يغالب ويمنع هؤلاء وتلك المخلوقات من عدم السقوط، والتهافت في هاوية المعصية" (٥٠).

الخاتمة

وفي الختام نقول:

إن ارتباط البلاغة بالنص القصصي يحيل إلى وظيفة جديدة للبلاغة هي تحليل النص بدل إنتاجه من خلال تتبع الطريق الذي يسلكه الخطاب من النص عبر الفهم إلى الفعل ، فقد اعتمد الرسول (ﷺ) في دعوته على ركيزتين أساسيتين هما:

- الإقناع العقلي، وإيقاظ الشعور والعاطفة لدى المخاطبين، فاستعان عليه الصلاة والسلام بكل الوسائل والأساليب الممكنة للوصول إلى الإقناع ومن هذه الوسائل انتهاج النهج القصصي للوصول إلى هذين الهدفين وذلك لما تتمتع به القصة من تجسيم للمجردات والمعنويات، وعرضها بصورة محسوسة وملموسة، يرتضيها العقل والمنطق، ويأنس لها الشعور والوجدان، فضلاً عما تتركه في نفس المتلقي من أثار نفسية عميقة قلّ أن يصل إلى مثلها لون آخر من ألوان البيان. فجاء استخدام الرسول (ﷺ) للقصة كأسلوب من أساليب الدعوة يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة (ﷺ) من رعيل الإسلام الأول، ويوجههم إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر والتصور، وطريقة في السلوك.

والقصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف جاءت نمطا اسلوبيا لخدمة وتوضيح المشبه وتقريبه من الأذهان، فكانت الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه أقوى في المشبه به من المشبه، فضلا عن قيامها على التشخيص العياني المعتمد على التقديم الحسي للصور الذهنية، والذي من شأنه إثارة نوعا من التوكيد في نفس المتلقي، فضلا عن تزويده بالقدرة الحقيقة لإثارة انفعالاته.

- أستخدم الرسول (ﷺ) الوصف الاستدلالي بالقصة التمثيلية كوسيلة تقديرية لإثبات الحقائق، بتشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد، ففي التمثيل إقامة دليل على ادعاء ما من اجل البرهنة

على صحة هذا الادعاء، وتقدير ثبوته للمتلقي بأسلوب الإثبات المادي الذي يخاطب العقل، أي إن للقصة التمثيلية وظيفة استدلالية استكشافية ، إذ يتم الانتقال في التشبيهات من الصورة البسيطة التركيب إلى الصورة الأكثر تركيباً وتعقيداً تدرجاً في إقناع النفس وتلاؤماً مع تكاثف الأحوال ووفرة المعاني. متخذا الرسول (ﷺ) الجدل القائم على الثنائيات المتقابلة سبيلاً في وصف الأحداث في القصة عن طريق عرض فكرتين متضادتين، فينتج للعقل فرصته لتدبر البلاغة المتأتية من هذا التقابل وإبراز ما فيها من جوانب تخفى عن المتلقي فيما إذا ما عرضت بطريقة سردية مباشرة، لأن جمال الشيء الحسن يظهر حين يقابل بسوء الضد القبيح.

هوامش البحث

(١) (خواجه، ٢٠٠٧، ص١٥٠).

(٢) (الغزالي، ٢٠٠٥، ص٢٨٩).

(٣) (الجرجاني، د.ت، ص٨٤).

(٤) (الجابري، ٢٠٠٠، ص٢٤٣- ٢٤٤).

(٥) (الرماني، ١٩٧٨، ص٨٠).

(٦) (العايش، ١٩٨٥، ص٧١).

(٧) (عيد، د.ت، ص١٧٥).

(٨) (سعد الله، ١٩٩٩، ص٧٢).

(٩) (الجرجاني، د.ت، ص٨١).

(١٠) (الجهاد، ٢٠٠٧، ص١٥).

(١١) (الجرجاني، د.ت، ص٨٣).

(١٢) (حمزاوي، ٢٠٠٦، ص٢٧).

(١٣) (البخاري، ٢٠٠٢، ص١٢٢٧).

(١٤) (المصدر نفسه، ٢٠٠٢، ص١١٥٩).

(١٥) (المصدر نفسه ، ص١٢٠٥).

(١٦) (الصباغ، ١٩٨٢، ص١٠٤).

(١٧) (نقرة، ١٩٧٤، ص٢٤٦ – ٢٤٨).

(١٨) (الصائغ واخرون، ١٩٨٥، ص٢٦٥).

(١٩) (الصغير، ١٩٨٦، ص٧٣).

(٢٠) (البخاري، ٢٠٠٢، ص١٢١٨).

(٢١) (القرطبي، ٢٠٠٥، ج٣، ٩٣٣).

(٢٢) (العسقلاني، ١٩٥٩، ج١١، ص٣١٦).

(٢٣) (الميداني، ١٩٨٥، ج١، ص٤٨-٤٩).

(٢٤) (العسقلاني، ١٩٥٩، ج١١، ص٣١٧).

([٢٥]) (احمد، ١٩٩٨، ص٨٨).

([٢٦]) (صالح، ٢٠١٠، ص٢٦٢).

([٢٧]) (ابن منظور، ١٩٩٤، ج١٥، ص٤٤).

([٢٨]) (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٤، ص٢٩٥ – ٢٩٦).

([٢٩]) (كريزويل، ١٩٨٥، ص٢٦٦).

([٣٠]) (صالح، ٢٠١٠، ص٢٦٣).

([٣١]) (شهاب، ١٩٩٥، ص٢٨).

([٣٢]) (أبن منظور، ١٩٩٤، ج٨، ص٢٤٠).

([٣٣]) (المصدر نفسه ، ج١، ص٧٠٤).

([٣٤]) (نفسه ، ج١٠، ص١٩٣).

([٣٥]) (أبن منظور، ١٩٩٤، ج٥، ص٣٤).

([٣٦]) (الخطاب، ١٩٩٨، ص٢٠٧).

([٣٧]) (أحمد، ١٩٩٨، ص٩٠).

([٣٨]) (البخاري، ٢٠٠٢، ص١٢١٨

([٣٩]) (عصفور، ١٩٧٤، ص٢١٠).

([٤٠]) (السيد، ١٩٧٣، ص١٥٧).

([٤١]) (الميداني، ١٩٨٥، ج١، ص٢٦١).

([٤٢]) (العسقلاني، ١٩٥٩، ج٦، ص٤٦٤).

([٤٣]) (السيد، ١٩٧٣، ص١٥٧).

([٤٤]) (أبن فارس، ١٩٧٩، ج٦، ص١٣٣).

([٤٥]) (الاصفهاني، د.ت، ص٤٩٠).

([٤٦]) (أبن فارس، ١٩٧٩، ج٤ ، ص٣٨٨).

([٤٧]) (المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦١).

([٤٨]) (الخيرو، ٢٠٠١، ص٣٦).

([٤٩]) (الخطاب، ٢٠٠٣، ص٤٢).

([٥٠]) (الخيرو، ٢٠٠١، ص٣٦).

المصادر والمراجع

١-ابن فارس، أبو الحسن احمد. (١٩٧٩) مقاييس اللغة، د.ط، القاهرة، مصر.

٢-ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم . (١٩٩٤) لسان العرب، ط٣، بيروت، لبنان.

٣- احمد، سعد عبدالرحيم (١٩٩٨) "التشبيه النبوي الشريف-، دراسة في متن صحيح البخاري"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق.

٤- الاصفهاني، الراغب. (د.ت) المفردات في غريب القرآن، د.ط، بيروت، لبنان.

٥- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. (٢٠٠٢) صحيح البخاري، ط١، المنصورة، مصر.

٦- الجابري، محمد عابد. (٢٠٠٠) بنية العقل العربي، ط٦، بيروت، لبنان.

٧- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت) أسرار البلاغة، د.ط.

٨- الجهاد، هلال. (٢٠٠٧) جماليات الشعر العربي- دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، ط١، بيروت، لبنان.

٩- حمزاوي، يزيد. (٢٠٠٦) "المدلولات التربوية للأمثال القرآنية- دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر.

١٠- الخطاب، اسماء سعود. (١٩٩٨) "الجناس في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق.

١١- الخطاب، اسماء سعود. (٢٠٠٣) التقابل الاخروي في صورة الواقعة – دراسة بلاغية وصفية- بحث، مجلة آداب الرافدين، مجلد ١١.

١٢- خواجه، عبدالعزيز. (٢٠٠٧) أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، ط١، دمشق، سوريا.

١٣- الخيرو، مازن موفق صديق. (٢٠٠١) "الصورة الفنية في الحديث النبوي – صحيح البخاري"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق.

١٤- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. (١٩٧٨) النكت في اعجاز القرآن، ط٢، القاهرة، مصر.

١٥- سعدالله، محمد سالم. (١٩٩٩) "أسرار البلاغة لبعد القاهر الجرجاني- دراسة سيميائية"، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الموصل، العراق.

١٦- السيد، عز الدين علي. (١٩٧٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د.ط، القاهرة، مصر.

١٧- شهاب، هناء محمود. (١٩٩٥) "أساليب الطلب في الحديث النبوي- دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري"، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق.

١٨- الصائغ وآخرون، عبد الاله. (١٩٨٥) الشريف الرضي – في ذكراه الألفية، د.ط، بغداد، العراق.

١٩- صالح، فائزة سالم. (٢٠١٠) تأملات بلاغية في التشبيه التمثيلي في الصحيحين، ط١، جدة، السعودية.

٢٠- الصباغ، محمد لطفي. (١٩٨٢) الحديث النبوي- مصطلحه- بلاغته- كتبه، ط٤، بيروت، لبنان.

٢١- الصغير، محمد حسين علي. (١٩٨٦) أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، د.ط، بغداد، العراق.

٢٢- العايش، عايش محمود. (١٩٨٥) "مختارات عبد القاهر الجرجاني- دراسة نقدية في ضوء فكره النقدي"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، الاردن.

٢٣- العسقلاني، ابن حجر. (١٩٥٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت، لبنان.

٢٤- عصفور، جابر. (١٩٧٤) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، د.ط، القاهرة، مصر.

٢٥- عيد، رجاء. (د.ت) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، د.ط، الاسكندرية، مصر.

٢٦- الغزالي، شعيب بن احمد بن محمد. (٢٠٠٥) " مباحث التشبيه والتمثيل في تقسيم والتحرير والتنوير لابن عاشور"، اطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، السعودية.

٢٧- القرطبي، أبو العباس احمد بن عمر. (٢٠٠٥) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، ط١، الرباط، المغرب.

٢٨- كيرزويل، اديث. (١٩٨٥) عصر البنيوية من ليفي ستراوس إلى فوكو، د.ط، بغداد، العراق.

٢٩- الميداني، أبو الفضل احمد. (١٩٨٥) مجمع الامثال، ط١، بيروت، لبنان.

٣٠- نقرة، التهامي. (١٩٧٤) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ط١، تونس.